الثورة العرابية أنموذجٌ متكامل للثورة العربية
متمثلة بشخصية احمد عرابي

م. شاهين سهام عبدالرزاق
جامعة ديالى – كلية التربية المقداد

الملخص :

لعل من اهم الشخصيات النضالية والثورية في امتنا العربية في العصر الحديث هي شخصية احمد عرابي، وفطنته وانتمائه الوطني والقومي وانه كان يحب الشعب المصري وتفانى في الدفاع عنه، ووحد صفوف المصريين بالوقوف بالندِّ من مخططات الدول الغربية الاوروبية، فكانت ثورة احمد عرابي ضد الحاكم الظالم وضد الاستبداد وضد الغزو الاجنبي للاقتصاد المصري، ولاشك ان الوعي التاريخي المتمثل بوعي الشعب المصري ونضاله وكفاحه ضد الاستبداد والقهر، دفع مثل هذه الشخصيات الى ان تختار التغيير والتضحية من اجل اسعاد هذا الشعب وتحقيق امانيه، والذي سهل حدوث مثل هذه الثورة هو خصوصية الشعب المصري الذي لا يصبر على ضيم، مما دفع باحمد عرابي القيام بهذه الثورة الجبارة بتكاتف الجميع ضد الاجنبي وضد الهيمنة الخارجية، فالشعب المصري اخطر أنه شعبٌ لا يقهر ولا يصبر على الخنوع والذل.

المقدمة :

يسجل التاريخ المواقف الكبيرة لشخصيات اي بلد من البلدان الذين يعتزون بوطنهم وتراثهم، وربط الحاضر بالمستقبل، لكي يقدموا ما تجود به نفوسهم لتذليل الصعوبات والكوارث التي يمر بها بلدهم. ولا شك أن الوعى التاريخي بمسيرة النضال والكفاح من أجل الحصول على الحرية والاستقلال، هو أهم ما يجب أن تتعرف عليه الاجيال الشابة كي يؤمنوا أن ما وصلنا إليه كان بالبذل والعطاء والتضحية، حتى يبقى هذا الوطن – دوماً– حر الإرادة، لا يتحكم فيه دخيل ولا يهيمن عليه متسلط. ولعل من ابرز الرموز النضالية في الوطن العربي هو الزعيم احمد عرابي والحديث عن رواد الحركة الوطنية في مصر إنما هو –في حقيقة الأمر– تمجيداً للشعب المصري قبل رموزه، فالشعب هو صانع التاريخ للوطن والامة العربية وتلك حقيقة لاجدال فيها. لم تتعرض ثورة وطنية في حياة أمة من الأمم أو شعب من الشعوب لتقييم متناقض كما تعرضت الثورة العرابية وقد تمثل ذلك في كثير من أقوال المؤرخين قبل سنة ١٩٥٢ وبعدها وإذ تعرضت هذه الثورة لحملة من التعبيرات المطلقة والسهلة تدمغها إجمالاً بالعفوية وبأنها أضرت أكثر مما نفعت، فمن" هوجة " إلى " عصيان "إلى " تمرد " إلى " حركة " خلال العهد الملكي، إلى ثورة بلا أخطاء، إلى نموذج متكامل

للثورة ، إلى قفزة وطنية رائعة وتحد للغزو الأجنبي، إلى غير هذه العبارات في العهد الجمهوري. ولقد قلل الكتاب من قيمتها في الماضي إلا انهم بالغوا في أهميتها في الوقت الحاضر، وان وجهتي النظر كليهما في حاجة إلى تعديل. لأن التصوير السطحي للأحداث التاريخية في حياة الشعوب قد يكون ثمنه فادحاً ، كما أن الإهدار غير المقبول للحركات الوطنية يصيب النضال بانكسار حاد.

ويظن الكثيرون ممن درسوا الثورة في عجالة أن مصر لم تناضل ضد الإنجليز إلا في كفر الدوار وأنها سرعان ما استسلمت في الميدان الشرقي .. ولكن الواقع التاريخي كان غير ذلك تماماً، وهذا ما سوف توضحه فصول هذه الدراسة. مما لا شك فيه أن الثورة العرابية قامت في ظروف تختلف عن ظروفنا الحالية مما يجعل حكمنا عليها وفقاً لمقاييس عصرنا حكماً ظالما .. ويكفى أن نقول أنها ثورة الشعب المصري تضامنا مع قواته المسلحة التي خرجت بوصفها طليعة طالبت من نظام الحكم الخديوي أن يحقق الديمقراطية، ويصدر دستوراً، ويقضى على تحكم الشراكسة في السيطرة على الجيش، لقد كانت الثورة العرابية ثورة ضد الغزو الأجنبي للإقتصاد المصري. ومن اجل تسليط الضوء على هذه الثورة المهمة ارتأينا تقسيم البحث الى ثلاث مباحث تناولنا في الأول التركيز على الثورة العرابية ونتائجها وشخصية احمد عرابي، وفي الثاني حياة الزعيم احمد عرابي ومواقفه الوطنية والكفاح، اما الثالث فقد ناقش صفاته ونسبه ووفاته، ثم انهينا البحث بالخاتمة ونتائج البحث وقائمة لإهم المصادر. آمل أن يكون هذا العمل رصيداً للتذكير بالماضي، وبعثاً لثقافة تاريخية نفتقدها كثيراً في وقت فيه أجيالنا الشابة في أمس الحاجة إليها.

المبحث الاول

الثورة العرابية الأسباب والنتائج :

لم تقترن ثورة بقائدها مثلما فعلت الثورة العرابية التي ارتبطت بأحمد عرابي في الاسم، والشخصية، والسيرة، ولا يعود ذلك إلى الصدفة، أو لأن عرابي هو الذى قام بها، ولكن العوامل التاريخية هي التي حتمت أن تدور أحداث هذه الثورة حول هذا المحور. ولعل أبرز هذه العوامل أنها كانت ثورة ضد حكم الفرد المطلق وضد سلطان الحاكم الجائر، وكان لا بد للحركة الوطنية من زعيم يقودها وقائد تنتسب إليه ، كما أن ظروف المجتمع المصري حتمت عليه دوماً النظر إلى البطل كقوة مجسدة لآماله معبرة عن طموحاته ، وإذا لم يوجد هذا الزعيم فإن الشعب يدفع بواحد منه ثم يصنع منه أسطورة الزعامة والبطولة حتى لو كان لا يحمل من صفاتها أية خصائص أو سمات، ومازال تفسير تاريخنا معتمد– وهذا خطأ بلا شك– على الدور الذى يلعبه القادة مع أن الشعب هو صانع التاريخ وهو وحده المحرك له، وما القائد أو الزعيم إلا وكيل عن هذا الشعب الذي ارتضى قيادته طالما أجاد وصدق،

ويرفض زعامته إن خان أو غدر أو تسلط وتحكم [١]. ولا شك أن جسامة ما ترتب على هذه الثورة من نتائج هو الذى شكل العمود الفقري لتاريخنا وحركة نضالنا ونقصد به واقعة الاحتلال البريطاني. [٢]

الأوضاع الداخلية قبل الثورة :

لقد كان سقوط نظام محمد على بداية مرحلة غزو رأس المال الاجنبي لمصر ولعل الخطيئة التي تسببت فيها سياسة ذلك الحاكم المستنير، تركزت في حرمانه رأس المال الفردي من أن يأخذ مكانته، وجاء نظام الصناعة الحكومي ليقضى على النقابات الحزبية والطائفية بحيث نتج عن هذا كله– بالإضافة إلى حظ مصر العاثر في أن يتولى حكمها بعد محمد على أما جاهل أو مغرور أو فاسد– إن اصبحت الساحة خالية أمام الظاهرة الاستعمارية لتجد في مصر حقلاً خصباً ترتع فيه، وبدأت مصر تعانى ووضحت جيداً صورة الاستغلال الذى تواكب مع تأسيس مجموعة من البنوك الأجنبية في مصر.[٣]

لقد بدأ التدخل الأجنبي في شؤون مصر بعد صدور قانون التصفية عام ١٨٨٠ وعودة نظم المراقبة الثنائية (الإنجليزي الفرنسي)، ثم لجوء رياض باشا (رئيس الوزراء) إلى أساليب الشدة والعنف مع المواطنين المصريين، ومعارضة تشكيل مجلس شورى النواب، فضلاً عن سياسة عثمان رفقي الشركسي (وزير الحربية) وإنحيازه السافر للضباط الأتراك والشراكسة واضطهاده للضباط المصريين، سوء الأحوال الاقتصادية نتيجة تخصيص مبالغ لسداد الديون للأجانب انتشار الوعي الوطني بين المصريين نتيجة لكل ما تقدم ظهر نجم الزعيم الوطني ضابط الجيش أحمد عرابي الذي قدم طلباً في ١٥ كانون الثاني عام ١٨٨١ومعه عبد العال حلمي، وعلى فهمي يطلبون فيها عزل وزير الحربية عثمان رفقي، فكان رد رياض باشا القبض عليهم، فانتفض الجيش للثورة على الخديوي وطالب بعزل وزير الحربية عثمان رفقي الذي ظلم الضباط المصريين ونتج عن هذه الانتفاضة الاستجابة لهذه الطلبات : [٤]

١– موافقة الخديوي وهو مرغم على عزل عثمان رفقي باشا، وتعيين محمود سامي البارودي بدلاً عنه .

٢– ارتفاع شأن عرابي كزعيم وطني يمكن الاعتماد عليه في تحقيق طلبات الشعب في الحرية والتحرر من النفوذ الأجنبي .

سلم أحمد عرابي هذه المطالب الى الخديوي توفيق في ميدان عابدين، وحين اطلع عليها الخديوي توفيق بردٍ على عرابي بأن كل هذه الطلبات لا حق لكم فيها، وأنا ورثت ملك هذه البلاد عن آبائي وأجدادي، وما أنتم إلا عبيد إحساننا. حينها قال له عرابي:(لقد خلقنا الله أحراراِ، ولم يخلقنا تراثاِ أو عقاراِ؛ فوالله الذي لا إله إلا هو، لا نُورَّث، ولا نُستعبَد بعد اليوم)[٥]. رضخ توفيق لمطالب الجيش حين رأى التفاف الشعب حول عرابي، وعهد إلى

محمد شريف باشا بتشكيل الوزارة وتشكلت بذلك أول وزارة شبه وطنية في تاريخ مصر الحديث. [٦] و كانت شبه وطنية لأن محمد شريف باشا كان من أصول شركسية، إلا أنه كان رجلاً كريماً مشهوداً له بالوطنية والاستقامة، ألف وزارته في ١٤سبتمبر ١٨٨١م، وتم تعيين محمود سامي البارودي ناظرا للجهادية وهو أول مصري يتولى هذا المنصب[٧]. سعى محمد شريف باشا لوضع دستور للبلاد، ونجح في الانتهاء منه وعرضه على مجلس النواب الذي أقر معظم مواده، ثم عصف بهذا الجهد تدخل بريطانيا وفرنسا في شؤون البلاد بعد أن ازدادت ضغوط الدول الأوربية الدائنة على مصر التي كان يتعين عليها دفع ما يقارب عشرين مليون جنيه إسترلينى أو ما يقرب من ثلث دخلها القومي سنوياً لسداد الديون. [٨]

أصرت بريطانيا وفرنسا على إدارة شؤون الخزانة المصرية بوصفهما أكبر الدائنين، وبسبب العقلية الاستعمارية المتغطرسة التي كانت سائدة في ذلك الوقت التي روجت لفكرة أن الشعوب الشرقية لا تصلح لإدارة شؤونها وخصوصاً الشؤون المالية. فقد تمّ فرض تعيين مفتشين ماليين على شؤون الخزانة المصرية أحدهما إنجليزي والآخر فرنسي، وكرد فعل لكل هذه الضغوط أصر مجلس الأعيان برئاسة محمد سلطان باشا على تغيير وزارة محمد شريف باشا التي قبلت بكل هذه التدخلات في شؤون مصر الداخلية[٩].

قيام الثورة :

لا نستطع أن نفهم حركة الثورة العرابية دون أن نضع تصوراً عاماً للمقدمات التي خلقت الدوافع اليها، كذلك لا يمكن تحليل هذه الظواهر التي أدت لأول مرة إلى تضامن كل الطبقات المصرية في البداية، ثم إلى تطاحنها وانحياز جزء كبير منها إلى السلطة الحاكمة إلا لو فهمنا المناخ الذى كانت متأثرة به هذه الطبقات، ان دراسة الحركة التي حدثت ضد هذه الثورة جعلت معظم قيادات الثورة العرابية تعلن عن خطئها وتناشد الأسرة المالكة العفو، ولعل ذلك كان واضحاً بعد فترة المنفى الطويلة التي استمرت ١٩ عاماً في "سيلان" إذ نجد مثلاً محمود فهمى باشا أعظم مهندسي الاستحكامات العسكرية في مصر في ذلك الحين يقول عنها (أي عن الثورة) أنها كانت ثورة مشؤومة، والشيخ محمد عبده يعلن توبته عن العمل السياسي بعد مشاركته في الثورة، بل أن حتى محمود سامى البارودي كتب شعراً يدين الثورة. [١٠]

الدوافع السياسة للثورة :

يمكن أن تقسم الأسباب السياسية لقيام الثورة العرابية إلى ثلاثة أنواع هي:[١١]

١- أسباب متعلقة بالشرف الوطني والكرامة والعزة والسيادة في مواجهة التغلغل الأجنبي، فلقد كانت الثورة العرابية، هي الرد المصري الذى كان يهدف إلى وقف التغلغل الاجنبي الأوروبي لمصر. وبمعنى أدق يمكن أن يقال أن الثورة العرابية كانت في حالة انفجار في

مواجهة الغزو الاجنبي الرأسمالي لمصر، والذى تمَّ بطريق سلمي وتدريجي من الناحية الظاهرية، ولكنه لم يتأصل إلا من خلال استغفال الحاكم واستغلال المحكومين وظهر ذلك في الامتيازات الأجنبية .هذا إلى جانب التدخل الأوروبي من جانب بريطانيا وفرنسا في شؤون الحكم إلى حد إن كان لكل منهما وزيراً في الوزارات المصرية التي تشكلت منذ أواخر عصر إسماعيل . (١٢)

٢- أسباب متعلقة بالحياة الدستورية والنيابية للقضاء على الحكم المطلق ،ذلك أنه منذ محاولات الخديوي توفيق القضاء على التجربة النيابية المصرية وعلى الافكار الجديدة نحو تواجد الوزارة المسؤولة، ثم ميل توفيق للحكم المطلق وعدم انصياعه للأفكار الجديدة واصداره قانون المطبوعات سنة ١٨٨١ وميله إلى الاستبداد بشؤون الحكم دون اخذ رأي أو مشورة، وعدم اعترافه بالقيم الدستورية أي أن جوهر الأزمة السياسية هو غياب الحكم الديمقراطي، ولذلك حددت الثورة العرابية لنفسها المطالبة بالدستور وبالحكم النيابي الحقيقي لا الشكلي كهدفين اساسيين من أهدافها.

٣- أسباب متعلقة بالتفرقة العنصرية فى المعاملة وفى بالاستئثار بمصالح فردية على حساب مصر والمصريين. فالطبقة المصرية الجديدة التي فتحت صفحة جديدة في علاقاتها التي بدأت تنمو مع نمو الحضارة وحركة التقارب مع الغرب والتحديث الذى أوجد جماعات جديدة تتوق بعد أن حصلت على الثروة إلى الوصول للسلطة وهؤلاء وجدوا من الطبقة التركية والشركسية والألبان والأرناؤوط سداً منيعاً بينهم وبين تطلعاتهم، وبالتالي كان انضمامهم للحركة الوطنية لانهم ارادوا إحداث تغيير في التركيب السلطوي في المجتمع وبمجرد أن لاح لهم أن أمانيهم على وشك ان تتحقق تركوا الثورة في منتصف الطريق وهم أصلاً لم يكونوا مؤمنين بالثورة بل ركبوا الموجة ليحققوا أهدافهم (١٣).

اندلعت الثورة العرابية في ٩ ايلول ١٨٨١، وهذه المرة لم تكن على نطاق عسكري فقط، بل شملت أيضا المدنيين من جميع فئات الشعب؛ بسبب سوء الأحوال الاقتصادية، والتدخل الأجنبي في شؤون مصر، ومعاملة رياض باشا القاسية للمصريين، ونمو الوعي القومي، وقد شارك الشعب المصري بكامل طوائفه مع الجيش بقيادة عرابي الذي أعلن مطالب الشعب للخديوي توفيق وكانت :(١٤)

أ. زيادة عدد الجيش إلى ١٨٠٠٠ جندي .

ب. تشكيل مجلس شورى النواب على النسق الأوروبي .

ج. عزل وزارة رياض باشا .

ومع صمود الثورة استجاب الخديوي لمطالب الأمة، وعزل رياض باشا من رئاسة الوزارة، وعهد إلى شريف باشا بتشكيل الوزارة، وكان رجلاً كريماً مشهوداً له بالوطنية

والاستقامة، فألف وزارته في ١٤ سبتمبر ١٨٨١م، وكان محمود سامى البارودي وزيراً للحربية بها، وسعى لوضع دستور للبلاد، ونجح في الانتهاء منه وعرضه على مجلس النواب الذي أقر معظم مواده، ثم عصف بهذا الجهد تدخل بريطانيا وفرنسا في شؤون البلاد بإرسال المذكرة المشتركة الأولى في ٧ يناير ١٨٨٢م والتي اعلنتا فيها مساندتهما للخديوي، وتأزمت الأمور، وقدم "شريف باشا" استقالته في الثاني في فبراير ١٨٨٢م، بسبب قبول الخديوي تلك المذكرة .[١٥] تشكّلت حكومة جديدة برئاسة محمود سامي البارودي، وشغل عرابي فيها منصب وزير الحربية، وقوبلت وزارة البارودي بالارتياح والقبول من مختلف الدوائر العسكرية والمدنية؛ لأنها كانت تحقيقاً لرغبة الأمة، ومعقد الآمال، وكانت عند حسن الظن، فأعلنت الدستور، وصدر المرسوم الخديوي به في ٧ شباط ١٨٨٢ م، وسميت هذه الوزارة باسم وزارة الثورة، لأنها حققت رضا الشعب والجيش كليهما .[١٦]

أن هذه الخطوة الوليدة في الحياة النيابية تعثرت بعد نشوب الخلاف بين الخديوي ووزارة البارودي حول تنفيذ بعض الأحكام العسكرية، ولم يجد هذا الخلاف مَن يحتويه من عقلاء الطرفين، فاشتدت الأزمة، وتعقد الحل، ووجدت بريطانيا وفرنسا في هذا الخلاف المستعر بين الخديوي ووزرائه فرصة للتدخل في شؤون البلاد، فبعثت بأسطوليهما إلى شاطئ الإسكندرية بدعوى حماية الأجانب من الأخطار. [١٧] خلال هذه المدة برزت شخصيتان، الأولى السلطان العثماني عبد الحميد الذي أخذ يتصل بأحمد عرابي سرا ويشجعه على الوقوف بوجه التدخل الأوروبي وبوجه الخديوي. والشخصية الثانية هي شخصية الخديوي توفيق، الذي يعد أسوأ ملوك أسرة محمد علي على مدى تاريخها الطويل. كان توفيق يكره عرابي كرهاً شديداً ومع ذلك كان دائماً ما يتظاهر بتأييد عرابي بينما هو يتصل سراً ببريطانيا وفرنسا ليؤلبهما عليه. [١٨] لقد بالغ الخديوي توفيق في تصوير الموقف للأوروبيين بأنه شديد الخطورة على مصالحهم، إذ أن عرابي حسب وصفه كان وطنياً متطرفاً يكره كل ما هو أجنبي، ويهدف إلى طرد كل الأجانب من مصر. تحمست بريطانيا بالذات لفكرة التدخل العسكري في مصر لقلقها من ناحية فرنسا التي كانت قد استولت لتوها على تونس. كذلك شعرت بريطانيا أن طريق مواصلاتها إلى الهند الذي يمر عبر قناة السويس قد بات مهدداً فأصبح يتعين عليها سرعة التحرك قبل أن تتجه فرنسا شرقاً أو حتى روسياً جنوباً، التي كانت تنتظر بترقب انحدار الدولة العثمانية، وتحلم بالتوسع جنوباً للتحكم في مضايق البحر الأسود. فاتفقت بريطانيا وفرنسا في بادئ الأمر على التحرك سويا على الرغم من توجس كل منهما تجاه الأخرى، ووجهت الحكومتان دعوة إلى الحكومة العثمانية لإرسال قوة إلى مصر "لحفظ الأمن" على اعتبار أنه من الناحية القانونية كانت مصر ما تزال جزءً من الدولة العثمانية المحتضرة، إلا أنه سرعان ما عدلتْ القوتان الاستعماريتان عن

تلك الفكرة لعدم ثقتهما في السلطان عبد الحميد الثاني ولرغبتهما في الاحتفاظ بزمام المبادرة. فتمَّ إرسال أسطول بريطاني فرنسي مشترك إلى الإسكندرية على سبيل الإنذار للحكومة المصرية، إلا أن هذا الإنذار جاء بنتيجة عكسية تماما حيث أنه أدى إلى ازدياد شعبية عرابي في مصر، والتفاف الناس من حوله من كل الطبقات. استمر كل من السلطان عبد الحميد الثاني والخديوى توفيق في سياستهما المعتادة في اللعب مع كل الأطراف. [١٩]

لم يكد يصل الأسطولان الإنجليزي والفرنسي إلى مياه الإسكندرية حتى أخذتْ الدولتان تخاطبان الحكومة المصرية بلغة التهديد والبلاغات الرسمية، ثم تقدم قنصلا الدولتين إلى البارودي بمذكرة مشتركة في (٢٥ مايو ١٨٨٢ م) يطلبان فيها استقالة الوزارة، وإبعاد عرابي وزير الجهادية عن مصر مؤقتًا مع احتفاظه برتبه ومرتباته، وإقامة علي باشا فهمي وعبد العال باشا حلمي – وهما من زملاء عرابي وكبار قادة الجيش – في الريف مع احتفاظهما برتبتيهما ومرتبيهما.[٢٠] كان رد وزارة البارودي برفض هذه المذكرة ايضاً لانها شكلت تدخلا مهينًا في شئون البلاد الداخلية، وطلبت من الخديوي توفيق التضامن معها في الرفض؛ إلا أنه أعلن قبوله لمطالب الدولتين، وإزاء هذا الموقف قدم البارودي استقالته من الوزارة، فقبلها الخديوي. [٢١] لم يصبر الاستعمار واعوانه على الثورة والاستقلال الوطني، فقامت احداث دراماتيكية انتهت بالاحتلال الانجليزى لمصر ونفي عرابي وزملائه عبدالله النديم، ومحمود سامي البارودي إلى سريلانكا "سيلان" سابقا إذ استقروا بمدينة كولومبو لمدة ٧ سنوات .[٢٢]

أسباب فشل الحركة العرابية [٢٣] : ان من اسباب فشل الحركة العرابية يعود الى الاتي :-

١. خيانة الخديوي توفيق : فقد ساند التدخل الأجنبي في شؤون مصر منذ بداية توليه.
٢. خيانة دي ليسبس: صاحب شركة قناة السويس، والذي اقنع عرابي بعدم ردم القناة لان الإنجليز لا يستطيعوا المرور عبرها لان القناة لهم وللفرنسيين، ولكنه سمح للانجليز بالمرور، ولو ردمت القناة لما دخل الإنجليز مصر.
٣. خيانة بعض بدو الصحراء: والذين اطلعوا الإنجليز على مواقع الجيش المصري.
٤. خيانة بعض الضباط: وخاصة علي يوسف، وقد ساعدوا الإنجليز على معرفة الثغرات في الجيش المصري.
٥. خيانة خنفس باشا قائد حامية القاهرة.
٦. السلطان العثماني: اعلن عصياناً في الوقت الحرج جداً، وكان ذلك بتحريض من بريطانيا؛ مما جعل الكثير من الاشخاص ينقلبوا ضده.
٧. قوة أسلحة الإنجليز.
٨. عنصر المفاجأة الذي استخدمه الإنجليز

محاكمة احمد عرابي ونفيه :

واصلت القوات البريطانية تقدمها السريع إلى الزقازيق إذ أعادت تجمعها فيه، ثم انتقلت إلى القاهرة التي استسلمت حاميتها بالقلعة بشكل سريع. وكان ذلك بداية الاحتلال البريطاني لمصر الذي دام ٧٤ عاماً. [٢٤] أُحتجِزَ أحمد عرابي في الثكنات العباسية مع نائبه طلبة باشا حتى انعقدت محاكمته في ٣ كانون الثاني ١٨٨٢م والتي قضت بإعدامه، ثم خفف الحكم بعد ذلك مباشرة (بناءً على اتفاق مسبق بين سلطة الاحتلال البريطاني والقضاة المصريين) إلى النفي مدى الحياة إلى سرنديب (سيلان). وانتقل السفير البريطاني لدى الباب العالي، لورد دوفرن، إلى القاهرة كأول مندوب سامٍ – إذ أشرف على محاكمة أحمد عرابي وعلى عدم إعدامه. [٢٥] أما الذين ساندوا عرابي أو قاتلوا معه أو حرضوا الجماهير على القتال من العلماء والعمد والأعيان؛ فقد كان الحكم أولاً بقتل من أسموهم برؤوس الفتنة منهم وعزل الباقين ثم خُفِفَ الحكم اكثر بعزل الجميع فَعُزِلوا من مناصبهم وجُرِدوا من نياشينهم وأوسمتهم. [٢٦] ثم قام الأسطول البريطاني بنفيه وزملاؤه عبد الله النديم ومحمود سامي البارودي إلى سريلانكا سيلان سابقاً حيث استقروا بمدينة كولومبو لمدة ٧ سنوات. بعد ذلك نقل أحمد عرابي ومحمود سامي البارودي إلى مدينة كاندي بذريعة خلافات دبت بين رفاق الثورة ليعود أحمد عرابي بعد ٢٠ عاماً، ومحمود سامى البارودي بعد ١٨عام وكما عاد عرابي بسبب شدة مرضه لاقتراب وفاته وإصابته بالعمى من شدة التعذيب.[٢٧]

دروس مستفادة من الثورة العرابية:

١- كان موقف دي ليسبس سنة ١٨٨٢م قد دفع مصر الى اغلاق القناة في سنة ١٩٥٦هـ وبذلك فوتت على الانجليز أن تعبر القناة مرةً اخرى وفشلت محاولاتها مع فرنسا في غزو مصر في ذلك العام.

٢- لقد ادى تدخل الجيش في السياسة الى خروجه عن دوره مما جعلهُ غير قادر على الاهتمام بوظيفته الأساسية على الرغم من أن العرابيين حرصوا على عدم التدخل في السياسة بعد مظاهرة عابدين وتولى شريف باشا ونفذوا ما طلب منهم، إذ تقرر ارسال عبد العال حلمي بالية إلى دمياط وعرابي بالية اخرى إلى راس الوادي، إلا أن الجيش عاد للمشاركة في العمل السياسي بعد المذكرة الأولى المشتركة عام ١٨٨٢ ولم يعرف ابعاد واعماق حركة السياسة الدولية فوقع في اخطاء كبيرة ومع هذا لا يجب أن ينسينا ذلك أن القوات المسلحة هي طليعة النضال في الدول النامية[٢٨].

٣- كانت فرنسا بسبب سياستها الخاطئة في المسألة المصرية مسؤولة عن الاحتلال البريطاني لمصر، وذلك منذ أن صارت تعمل على خلع الخديوي اسماعيل وتمَّ لها ما ارادت بعد أن قامت سياستها على الحيلولة دون أي تدخل عثماني في مصر، ومحاولة جعل الأمر

مقصوراً عليها مع بريطانيا فقط، وأما المسؤول مباشرة عن فشل السياسة الفرنسية هو "فرسينيه" رئيس وزرائها الذى اظهر تردداً عظيماً في سياستها وآثر في المرحلة الأخيرة أن يعتمد على مؤتمر الاستانة لايجاد حل للمسألة المصرية، ورفض ان يشارك بريطانيا اعمالها الحربية أو أن يتصدى لمنعها، وكل ما فعلته الثورة العرابية أنها كانت دافعاً عجّل في تحقيق الاطماع البريطانية التي كان المجتمع الدولي غافلاً عنها في ذلك الحين. [٢٩]

يستطيع المؤرخون ان يصفوا الشعب المصري بأنه يثور بعد اي هزيمة عسكرية تلحق بهِ، وبعد (٥) سنوات من الكارثة التي حلت بالجيش المصري وبالتحديد بعد غزو الفرنسيين لمصر ثار الشعب سنة ١٨٠٥ وغير النظام باكمله، وحدثت الثورة العرابية بعد هزيمة الجيش المصري في الحبشة سنة ١٨٧٥ / ١٨٧٦ ، وبعدها ثارت مصر في سنة ١٨٨١، وفي العصر الحديث وبعد حدوث نكسة وهزيمة سنة ١٩٦٧ فثارت مصر في سنة ١٩٧١ وكل ثورة بلا شك كانت تحمل ملامح نظام جديد[٣٠].

المبحث الثاني

ولادة ونشأة احمد عرابي :

وُلِدَ أحمد الحسيني عرابي في عام ١٨٤١م في مصر، وتعلم القرآن الكريم في صغرهِ واصبح قائداً عسكرياً وزعيماً مصرياً قاد الثورة العرابية ضد الخديوي توفيق. ووصل إلي منصب ناظر الجهادية (وزارة الدفاع حالياً)، وكان أميرالاي (عميداً حالياً).

أسمه أحمد محمد عرابي محمد وافي محمد غنيم عبد الله الحسيني، اسم والدته فاطمة بنت السيد سليمان بن السيد زيد وتجتمع مع والده في الجد الثالث عشر المسمى إبراهيم مقلد والعارف بالله السيد صالح الذي جاء إلى مصر في منتصف القرن السابع للهجرة، ويُعَّدُ أول من قدم لمصر من بلاد العراق و ينتمي إلى نسل الإمام علي الرضا بن الإمام موسى الكاظم من سلالة الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب وابن السيدة فاطمة الزهراء. [٣١] ولد أحمد عرابي في قرية هرية رزنة بمحافظة الشرقية ، وكان عرابي ثاني الابناء أما الابن الاكبر فهو محمد وشقيقيه الصغيرين هما عبد السميع وعبد العزيز ، تعلم القرآن الكريم، ثم عهد به والده الذي كان عمدة القرية إلى صرّاف القرية الذى كان يدعى ميخائيل غطاس حيث قام بتدريبه على العمليات الحسابية والكتابية، ومكث يتمرن على يديه نحو خمس سنوات أحسن فيها معرفة القراءة والكتابة وبعض القواعد الحسابية[٣٢]. وكانت العائلة لها دخل متوسط بسبب الاراضي التي تمتلكها من الاجداد، وان مصدر معيشة هذه الاسرة كانت من ريع 74 فداناً تركها لهم الوالد، وقد خصَ عرابي منها ثمانية أفدنة ونصف في قرية" هرية رزنة. " [٣٣] وعندما بلغ عرابي سن الثامنة طلب من أبيه أن يلحقه بالجامع الأزهر فأجاب طلبه وأرسله إلى القاهرة، فدخل الأزهر في تشرين الثاني عام ١٨٤٩ م،

ومكث فيه أربع سنوات أتمَّ خلالها حفظ القرآن الكريم وأجزاء من الفقه والتفسير، وثم توفي والده في ٢٣ تموز ١٨٤٨م لإصابته بوباء الكوليرا وكان قد بلغ من العمر ٦٣ عاماً، وكان عرابي ابن ثماني سنوات فقام اخوه بالإنفاق عليه من ريع الاراضي التي تركها والده(٣٤).

وهكذا كانت نشأة أحمد عرابي في بيئة متواضعة في قلب ريف مصر وفي أسرة متوسطة ، وعن هذا الأصل الاجتماعي يذكر عرابي في خطاب منه إلى أحد رؤساء الآليات بعد توليه وزارة الحربية بأن يخطر الضباط بأن الفقراء "صار عندهم أمل في أن يتقد أولادهم ويصبحون حكاماً على بلادهم بعد أن كانوا يتوهمون أن ذلك من المستحيل عليهم، ولا كان يخطر ذلك في أفكارهم، ولنضرب مثلاً لحضرات الضباط بنفسي لأنى لست من بيت غنى بل من بيت متوسط الحال، وها أنا بين أيديكم الآن ناظراً على جهادكم. وحين أمر والي مصر محمد سعيد باشا بإلحاق ابناء المشايخ و الأعيان بالجيش ضمن جهوده للمساواة بين الشركس و المصريين، التحق عرابي بالخدمة العسكرية في ٦ كانون الأول ١٨٥٤م وبدأ كجندي بسيط ولحسن كتابته عُين ضابط صف بدرجة أمين بلوك "مساعد حالياً" واستفاد من نظام الترقي بالامتحانات فوصل إلى رتبة ملازم ثانٍ بعد اربع سنوات فقط في الخدمة، ثم ارتقى عرابي سلم الرتب العسكرية بسرعة في عهد سعيد باشا حيث حصل خلال عام ١٨٥٩م على ترقيتين هما يوزباشي "نقيب حالياً" وصاغ "رائد حالياً" وخلال عام ١٨٦٠م رقي إلى بكباشي "مقدم حالياً" ثم إلى قائمقام "عقيد حالياً" وهو لم يكمل العشرين عاماً، كان سعيد باشا يثق بعرابي إلى درجة أنه كان يشركه معه في ترتيب المناورات الحربية و وصلت درجة التقارب بينه وبين سعيد باشا الى درجة أنه أهداه كتاباً عن تاريخ نابليون بونابرت مكتوباً باللغة العربية(٣٥).

تغيرت الاوضاع بعد وفاة سعيد باشا وتولي خلفه الخديوي إسماعيل إذ عادت التفرقة بين المصريين والشراكسة في الجيش. ووقع خلاف بين عرابي وبين أحد اللواءات الشراكسة يدعى اللواء خسرو باشا الذي سعى لإقالته بدعوى "شراسة الخلق وقوة الرأس" وقدم بسببها للمحاكمة العسكرية و حكم عليه المجلس بالسجن واحد وعشرين يوماً، ولكنه استأنف الحكم أمام المجلس العسكري الأعلى والذي قضى بإلغاء الحكم الابتدائي، مما ادى الى حدوث خلاف بين وزير الحربية وقتئذٍ إسماعيل سليم باشا وبين رئيس المجلس العسكري الأعلى، لان الوزير كان يرغب في تأييد الحكم الابتدائي، وذهب وزير الحربية الي الخديوي إسماعيل ليفصل عرابي وتمَّ فصله فعلاً وتركت هذه الحادثة في نفسه كراهية شديدة للضباط الشراكسة وسيطرتهم على الجيش، وحاول رفع مظلمة للخديوي إسماعيل ولكن لم يتم النظر فيها كما حاول رفع الكثير من المظالم إليه خلال ثلاثة أعوام وفي هذه الفترة التحق بوظيفة في دائرة الحلمية وخلال عمله فيه هذه الوظيفة تزوج من (كريمة) مرضعة الأمير إلهامي باشا وهى

أخت حرم الخديوي محمد توفيق فيما بعد من الرضاعة،[٣٦] ومن هنا كانت وساطة بعض المقربين من زوجته لاستصدار أمر من الخديوي إسماعيل بالعفو عنه وإعادته إلى الجيش برتبته العسكرية التي خرج لها، وحُرِمَ من مرتبته ومرتباتهِ خلال فصله فزادت كراهيته على أوضاع الجيش ونفوذ الضباط الشراكسة وتعنتهم مع الضباط المصريين، بعد ذلك عُينَ مأموراً للحملة العسكرية المصرية في الحبشة ، وهذه الحملة انتهت بهزيمة الجيش المصري، وكان لهذه الهزيمة أثر كبير في نفسه مما رآه من استهتار القيادة الشركسية[٣٧].

وقد ذكر البعض أن أحمد عرابي دخل في سلك العسكرية جوراً ولكن الحقيقة أن انتظام عرابي في السلك العسكري كان بناء على رغبتهِ الشديدة به منذ طفولته وأتاح سعيد باشا بقراره هذا تحقيق تلك الرغبة التي يعبر عنها عرابي : " وكنت أحب العسكرية فى صغرى وأفرح عند رؤية الجهادى ماراً بيَّ ، ولم يزل هذا الحب يكبر عندى حتى انتظمت فى سلك العسكرية " [٣٨].

صفاته ونسبه ووفاته :

عاد أحمد عرابي من المنفى في ٣٠ ايلول ١٩٠١م ليقيم مع أولاده بعمارة البابلي بشارع الملك الناصر المتفرع من شارع خيرت، بحي السيدة زينب، وكان حمل صفات القائد لانه دخل العسكرية وفي نفس الوقت صفات صاحب العلم لانه تمعن في دراسة القران الكريم وعلومهُ منذ وقتٍ مبكر. سعى أحمد عرابي إلى إقناع الإنجليز بتنصيبه ملكاً على مصر وبلاد العرب، وقد أعلن عن نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام). وقد أثارت تلك المطالبة الخديوي وأنصاره، مما عرض أحمد عرابي لحملة إعلامية شعواء تتقدمها جريدة اللواء والمجلة المصرية وأمير الشعراء أحمد شوقي الى ان توفي في القاهرة في ٢١ ايلول ١٩١١. ويُعّدُ احمد عرابي قائد أول ثورة مصرية في العصر الحديث[٣٩].

المبحث الثالث

دور الزعيم احمد عرابي في الكفاح الوطني:

يمكن اعتبار البورجوازية التي تشكلت في مطلع الربع الأخير من القرن التاسع عشر، "مصرية" مجازاً. ومن الحقائق المسلم بها أن الأجانب شكلوا القسم الأساسي من سكان المدن البورجوازيين، في حين كانت العناصر المختلطة بهم من المصريين العرب أو الأجانب المسلمين ممن يعدون على الأصابع[٤٠]. كان التجار الوسطاء من الأوروبيين القادمين من جنوب وشرق المتوسط. ولذلك نطلق مجازا تسمية البورجوازية الوسيطة المصرية على أولئك الناس الذين تحكموا في الصادرات والواردات والأعمال المصرفية والتشييد والبناء والتجارة الداخلية والصناعة المتدنية. [٤١] كانت حملة العلاقات الرأسمالية من المصريين "شبه البورجوازيين" من ممثلي الأسرة الخديوية، الذين شكلوا غالبية مطلقة بالنسبة

لمالكي الأراضي الأجانب، وهم من كبار الاقطاعيين والملاكين العقاريين الدخلاء ومن متوسطي الملاكين العرب. وقد وسع الأخيرون أملاكهم الخاصة على حساب أراضي أبناء بلدهم من الفلاحين الذين تعرضوا للخراب، أو عن طريق التدابير القسرية كالضرب والاهانة وغيرها من الوسائل التأديبية التي حاكوا فيها كبار الاقطاعيين المحليين. وكانوا يتتلمذون على أيدي الملاكين الاقطاعيين الأجانب في مجال الاستثمار الرأسمالي البشع. وكانوا يستغلون كد وعرق الفلاحين الحقيقيين مع أولئك الضباط "الفلاحين" الذين أوكل اليهم أمر استثمار الفلاحين عن طريق شتى أنواع السخرة، والذين لم يجمعهم أي جامع بالوصف الذي أعطاه لوتسكي إياهم عناصر ديمقراطية راديكالية وطنية. اللهم سوى الكفاح الذي سيخوضون غماره للحفاظ على وجودهم وتعزيز مواقعهم من خلال الاصطراع مع الفريقين القويين: رجال الاقطاع والملاكين المحليين الذين تبرجزوا رغماً عنهم أولاً، ومع كبار الاقطاعيين الأجانب الذين تحولوا رغم أنفهم الى شبه اقطاعيين(٤٢).

لقد كان بمقدور الضباط "الفلاحين" الموصوفين "بالعناصر الديمقراطية الراديكالية" أن يوطدوا علاقاتهم "بالبورجوازيين المدنيين" داخل المدن الكبيرة، إذ كانت البورجوازية التجارية المصرية تعاني سكرات الموت منذ مطلع القرن في جو من أطماع الدول الاستعمارية الكبرى، والتأثير القوي النفوذ للشركات الرأسمالية الاحتكارية. وبكلام إجمالي كانت تعيش ضمن ظروف خانقة ان كان على الصعيد الاقتصادي أم السياسي داخلياً وخارجياً معا. هؤلاء التجار حُكِمَ عليهم موضوعياً بالفناء والاندثار من جراء الاسلوب المبتذل والمتهري الذي مارسوا فيه نشاطهم التجاري – المالي في ظل غياب حماية ورعاية الدولة. أضف الى ذلك أن تدهور الحرف أصبح ناجزاً، لأن أصحاب المؤسسات المهنية اعتمدوا على مساندة الدوائر العسكرية مقابل دفع مبالغ طائلة لها بالطبع(٤٣).

ولقد ازدادت الأوضاع حدةً وتفاقماً في أواخر الربع الثاني من القرن التاسع عشر، حين أصبحت الفئات العليا من التجار وأرباب المهن الحرة التي أفرزتها الطبقة العسكرية خاضعة لا لإمرة "الباشاوات الجراكسة"، وانما أصبحت تحت رحمة فئة الضباط "الفلاحين" الذين تسللوا بوسائل مختلفة الى هذه المناصب القيادية، وبالتالي قامت بدور "جابي الضرائب". (٤٤) وبعد هذا كلهُ اصبح الضباط "الفلاحين" الذين كانوا يتسترون بقناع الحفاظ على الرأسمال الوطني، وبتعبير آخر الدفاع عن الأغنياء "الوطنيين" ضد استفزازات وضغوط الرأسماليين الأجانب، متخذين من ذلك مظلة واقية لحماية التجار المصريين الذين كانوا يدوسون بأقدامهم أبسط المعايير البورجوزاية، وينتهكون قدس أقداس قواعد العلاقات الرأسمالية. (٤٥) كان الضباط "الفلاحين" يتطلعون الى الرتب العسكرية العالية (مقدم وما فوق) ليس من موقع الحافز المادي فقط، فاذا كان البنباشي ينال شهرياً مرتباً قدره ثلاثة آلاف

قرش، والمقدم ثلاثة آلاف وستمائة قرش، فان راتب العقيد يقفز فوق عشرة آلاف، وآمر اللواء الى خمسة عشرَ ألف قرش. وفيما يخص الأميرالات (عرابي باشا مثلاً) فان مرتبهم لا يتوقف عند زيادته بمقدار النصف (٥٠%) فقط، بل ويتعداه الى نيل لقب الأميرالاي الذي يعني بحد ذاته نيل لقب الباشا السامي. وقد أكدت تشرنوفسكايا قائلة: "كان معظمهم من الفلاحين الذين ينظرون الى الخدمة العسكرية بوصفها الوسيلة الوحيدة التي تمكنهم من الارتقاء الى درجة اجتماعية أعلى".(٤٦) كان الضباط المصريون العرب يصبون ليس الى زيادة رواتبهم من ٣٠-٣٦ ألف حتى ١٠٠-١٥٠ ألف قرش وحسب، بل كانوا يتطلعون خصوصاً الى الانتقال من رتبة البكوية الى الباشوية، ومن طبقة الاقطاعيين – الملاكين الى طبقة الأشراف. وبالتالي الحصول على الامتيازات الواسعة الممنوحة للباشاوات الجراكسة. فكانت الهوية "الفلاحية" التي أطلقها عليهم خصومهم ومنافسوهم، أو تبنوها بأنفسهم في سبيل الاستفادة من شعار "مصر للمصريين" خدمة لمآربهم المهنية الفئوية الضيقة في جوهرها ومحتواها، وفي سبيل كسب شعبية واسعة داخل الأوساط العسكرية. لان معظم الجنود من أبناء الفلاحين الذين كانوا يعبرون عن سخطهم وتذمرهم ليس من مواقع فئوية– مهنية فحسب، بل من مواقع اجتماعية – اقتصادية وقومية – وطنية واعية. ومن هذا الموقع بالذات اتسم شعار "مصر للمصريين" بطابع شعبي ديمقراطي استقطب آمال وتطلعات الغالبية الساحقة في الجيش المصري. وبهذا الصدد كتب كولفين يقول: "يتألف الجيش أساساً من المصريين أبناء دافعي الضرائب التعساء، مما ادى الى تعاطف الجيش بكل مستوياته مع أبناء الوطن حتما".(٤٧)

وكانت الخدمة الاجبارية في الجيش بمثابة حكم بالأشغال الشاقة المؤبدة على أبناء الفلاحين. فمن الحقائق الثابتة في مصادر التاريخ العربية والأجنبية (الجبرتي، الدبلوماسي الروسي قسطنطين بازيلي، الأكاديمي الفرنسي بوجولا، العالم الانكليزي لين وغيرهم) أن السوط كان يرمز الى سلك الضباط في مفهوم الجنود الفلاحين. (٤٨) ومن هنا يصبح جلياً أن النفخ في صور الشعار الوطني وجعله أكثر شعبية ورواجاً من الضرورات اللازمة بالنسبة لعرابي باشا وأنصاره في كفاحهم ضد الباشوات الشراكسة، باعتباره الدعامة الأساسية الاجتماعية لتحقيق النتائج المرجوة. (٤٩) لقد اصطدمت تطلعات الضباط العرب الاجتماعية أم الاقتصادية بالمعارضة الشديدة من قبل "الباشاوات الشراكسة" ، فاتخذت طابع التمرد العسكرية داخل الثكنات. فانضمام الضباط الى معسكر "اللائحة الوطنية" وموالاتهم "للحزب الوطني المصري" عام ١٨٧٩ شكل غطاءً قومياً لتطلعاتهم وطموحاتهم، فضلاً عن نيلهم الدعم القوي من قبل رجال الاقطاع والأشراف الملتفين حول الخديوي إسماعيل، أي من "الجناح المدني للتنظيم الصاعد".(٥٠)

ومن اللافت للنظر أن تبني الضباط لشعار "مصر للمصريين" اتصف بتناقش ظاهري ملموس. "فالعداء للأتراك" (الكراهية ازاء العناصر الدخيلة الناطقة بالتركية من الأتراك العثمانيين الأصليين او الذين استتركوا من الشركس والأكراد والألبانيين وغيرهم) لدى هذه الفئة من الضباط، لم يقف حائلا دون انتعاش النزعة العثمانية في أوساطهم، إما عن قناعة وإيمان، واما موارية واحتيالاً، ودون اخلاص – ولو ظاهريا – للسلطان الحليفة والتفاني في سبيل السلطنة العثمانية . أولئك الناس الذين لم يكونوا يعدون من الموالين للسلطان. [٥١] لم يكن الأمر يتعلق فقط بالخضوع للسلطان – الخليفة من منطلق الايمان بالإسلام، ولا بحرية الدعم المتوقع من الأستانة باتجاه تقوية الميول المعارضة لتسلط الحكام الأتراك المحليين، وللحد من الهيمنة المتزايدة للأجانب الكفار. بل هنا اعتبار خطير ومهم جدا يرتبط مباشرة بمصالح فئوية – ضيقة ومنافع مهنية محددة. فالترقي من رتبة الضباط الذين هم دون الأشراف – البكوات الى رتبة الأميرالاي – الباشا لا يتم إلا بموافقة السلطان. [٥٢] ومن خلال ذلك يتجلى لنا الوجه الآخر والأكثر أهمية في التناقض الظاهري، فالشعار الذي رفعه الضباط الوطنيون "مصر للمصريين" كان موجهاً ضد احتكار الأتراك لرتبة الضباط الأشراف، كما كان شخصه الحاد موجها بالضرورة ضد السلطنة، التي كانت تضفي هالة قدسية على ذلك الاحتكار. بيد أن توسيع مضامين الشعار من قبل العناصر الموالية للنزعة العثمانية والمتفانية في اخلاصها للسلطان، كان يعني موضوعيا تأجيج المشاعر المعادية والاستفزازات الاستعمارية الأجنبية التي غذت أيضا الميول الذاتية المعادية للأوربيين عامة، والتي وجدت تجلياتها في اطار الحزب الوطني. وهذا الأمر أدى بالضرورة الى تقليص وتحجيم طبيعة الشعار المعادي في الواقع للسلطان والسلطنة، والى تصاعد حماة الدعوات المنادية بالتوجه صوب الباب العالي. إن هذا العامل المهم يجب أخذه بالحسبان في محاولتنا الرامية للبحث عن الدوافع التي حالت دون عرقلة انضمام الضباط ذوي الرتب الدنيا الى "الجناح العسكري" البارودي في الحزب الوطني المصري. [٥٣]

وفي آخر المطاف، كانت الجبهة "الوطنية" التي التأمت في ربيع عام ١٨٧٩، موجهة أساساً ضد الاعتداءات من جانب انكلترا وفرنسا، وكان السلطان يتوقع منها كل الخير والمنفعة، أو بالأحرى كان السلطان يمتع ناظريه بمشاهدة الخلاف الذي ذر قرنه بين تابعه الخديوي المصري وأصدقائه الأوربيين، الأمر الذي قد يتيح له القيام بدور الوسيط بين الطرفين المتنازعين. [٥٤] وعلى كل حال، كان خروج شعار "مصر للمصريين" عن نطاق ثكنات الضباط والجنود الذين كانوا مستعدين تماما للسير وراء زعمائهم وقادتهم. لم يكن يعني اطلاقا أنه أصبح شعاراً مصرياً شاملاً، وبتعبير آخر، ما كان بامكان هذا الشعار أن يكتسب شعبية واسعة بالقدر الذي يخرجه من السر إلى العلن لو لم يجد الغليان الشعبي

انعكاسات له في أوساط اجتماعية قوية التأثير والفعالية. [٥٥]

موقفه من الخديوي توفيق والاثار التي ترتبت عليه :

لقد كان عرابي يؤمن بمصريته وبحق أبناء مصر في تحمل مسؤوليتها، فشدت خطبة سعيد باشا انتباهه ولو لم يكن وطنياً صادقاً لما لفتت تلك الخطبة نظره، ولكن لم تهنأ الأيام لعرابي والكثير من رفاقه المصريين في الجيش المصري لتحقيق ذلك الحلم إذ أراد سعيد باشا أن يسدد ديناً لألمانيا وفرنسا مقداره ثلاثة ملايين جنيه ، ثمن بناء حوض بالسويس وشراء مدافع من ألمانيا وملابس ومهمات حربية وأسلحة، مما دعاه إلى اتخاذ إجراءات بتقليل الانفاق فكان أن أمر بتسريح الجنود إلى بلادهم وأحال الضباط على المديريات التي ينتمون إليها إلى الاستيداع، بنصف مرتب، وبالطبع لم يلغ سعيد باشا الجيش كله ولم يُحل ضباطه كلهم إلى الاستيداع ولكنه ألغى بعض الفرق وفصل ضباطها من الخدمة وكان من ضمنها الفرق التي ينتمى لها أحمد عرابي، إلا أن سعيد قبيل وفاته أمر بعودة الضباط المصريين المحالين للاستيداع إلى الجيش مرة أخرى وكان ذلك يعنى عودة عرابي إلى موقعه في الجيش السابق برتبته. [٥٦]

ولما كانت بريطانيا قد بيتت أمراً، فقد أعلنت تشككها في قدرة الحكومة الجديدة على حفظ الأمن، وبدأت في اختلاق الأسباب للتحرش بالحكومة المصرية، ولم تعجز في البحث عن وسيلة لهدفها، فانتهزت فرصة تجديد قلاع الاسكندرية وتقوية استحكاماتها، وإمدادها بالرجال والسلاح، وأرسلت إلى قائد حامية الإسكندرية إنذاراً في (١٠ تموز ١٨٨٢ م) بوقف عمليات التحصين والتجديد، وإنزال المدافع الموجودة بها. [٥٧] بعد قيام الخديوي ومجلس وزرائه برفض هذه التهديدات، قام الأسطول الإنجليزي في اليوم التالي بضرب الإسكندرية وتدمير قلاعها، وواصل الأسطول القصف في اليوم التالي، فاضطرت المدينة إلى التسليم ورفع الأعلام البيضاء، ولقد اضطر أحمد عرابي إلى التحرك بقواته إلى "كفر الدوار"، وإعادة تنظيم جيشه. [٥٨] وبدلاً من أن يقاوم الخديوي المحتلين، استقبل في قصر الرمل بالإسكندرية الأميرال بوشامب سيمور قائد الأسطول البريطاني، وانحاز إلى الإنجليز، وجعل نفسه وسلطته الحكومية رهن تصرفهم حتى قبل أن يحتلوا الإسكندرية. فأثناء القتال أرسل الإنجليز ثلة من جنودهم ذوي الجاكتات الزرقاء لحماية الخديوي أثناء انتقاله من قصر الرمل إلى قصر التين عبر شوارع الإسكندرية المشتعلة. ثم أرسل الخديوي إلى أحمد عرابي في كفر الدوار يأمره بالكف عن الاستعدادات الحربية، ويحمّله تبعة ضرب الإسكندرية، ويأمره بالمثول لديه في قصر رأس التين؛ ليتلقى منه تعليماته. [٥٩]

رفض عرابي الانصياع للخديوي بعد موقفه المخزي، وبعث إلى جميع أنحاء البلاد ببرقيات يتهم فيها الخديوي بالانحياز إلى الإنجليز، ويحذر من اتباع أوامره، وأرسل في ١٦

يوليو إلى "يعقوب سامي باشا" وكيل نظارة الجهادية يطلب منه عُقِدَ جمعية وطنية ممثلة من أعيان البلاد وأمرائها وعلمائها للنظر في الموقف المتردي وما يجب عمله، لقد اجتمعت الجمعية في (تموز عام ١٨٨٢م)، وكان عدد المجتمعين نحو أربعمائة، وأجمعوا على استمرار الاستعدادات الحربية ما دامت بوارج الإنجليز في السواحل، وجنودها يحتلون الإسكندرية. (٦٠)

في اليوم نفسه اجتمع يعقوب سامي بعدد من وكلاء النظارات وكبار المواطنين والضباط.. وكان عدد الذين حضروا ٧٠ شخصاً.. وقرر الحضور إنعقاد اجتماع موسع من كبار العلماء والرؤساء الدينيين وأمراء العائلة الخديوية والأعيان.. وعقد هذا الاجتماع الموسع في اليوم التالي الاثنين ١٧ تموز، وحضره نحو ٤٠٠ شخصاً في مقدمتهم الشيخ الإمبابي شيخ الإسلام والبطريرك كيرلس الخامس ، وقرروا ضرورة حضور الخديوي توفيق إلى العاصمة القاهرة ، وتشكيل لجنة برئاسة علي مبارك لإبلاغ هذا القرار للخديوي ، وذهب علي مبارك ولم يعد للقاهرة. وعرف الناس أن المراقبين الماليين الإنجليز أخذوا الاموال الموجودة في صندوق الدين إلى المراكب الحربية. (٦١) لقد كان رد فعل الخديوي على هذا القرار هو اصدار بيان في ١٧ يوليو ١٨٨٢، بعزل عرابي من منصبه، وتعيين "عمر لطفي" محافظ الإسكندرية بدلاً منه وأردف البيان الخديوي بأن تجهيزات الحرب مسؤولية عرابي والخديوي غير مسؤول عنه تصرفات عرابي ولكن عرابي لم يمتثل للقرار، واستمر في عمل الاستعدادات في كفر الدوار لمقاومة الإنجليز بعد انتصار عرابي في معركة كفر الدوار، أرسل عرابي إلى يعقوب سامي يدعوه إلى عقد اجتماع للجمعية العمومية للنظر في قرار العزل. (٦٢) وفي ٢٢ تموز ١٨٨٢م عُقِد اجتماع في وزارة الداخلية، حضره نحو خمسمائة من الأعضاء، يتقدمهم شيخ الأزهر وقاضي قضاة مصر ومُفتيها، ونقيب الأشراف، وبطريرك الأقباط، وحاخام اليهود والنواب والقضاة والمفتشون، ومديرو المديريات، وكبار الأعيان وكثير من العمد، فضلاً عن ثلاثة من أمراء الأسرة الحاكمة. (٦٣) وفي الاجتماع أفتى ثلاثة من كبار شيوخ الأزهر، وهم "محمد عليش" و"حسن العدوي"، و"الخلفاوي" بمروق الخديوي عن الدين؛ لانحيازه إلى الجيش المحارب لبلاده، وبعد مداولة الرأي أصدرت الجمعية قرارها بعدم عزل عرابي عن منصبه، ووقف أوامر الخديوي ونظّاره وعدم تنفيذها؛ لخروجه عن الشرع الحنيف والقانون المنيف. (٦٤)

الخاتمة ونتائج البحث :

ان شخصية احمد عرابي هي شخصية متميزة بالقيادة الفذة ويحب الوطن وخدمة المصريين، فانه اراد ان يحقق الاشياء الكثيرة للشعب المصري وخاصةً في محاربتهِ للحاكمين المستبدين، ووقف ضد الاستبداد وحاول ان يتخلص من الغزو الاجنبي للاقتصاد

المصري، وكان مناضلاً فذاً وشجاعاً حيث ان ثورته هذه جعلت الشعب يلتف من حولهِ وتكاتفوا جميعاً للقضاء على الهيمنة الخارجية الاجنبية، وحث الشعب المصري على الصبر للتخلص من الذل والخضوع للاجنبي، ووصف الشعب المصري بأنه الشعب الذي لا يُقهر وعليه المضي في طريق الكرامة والحرية والتضحية في سبيل توقف الهيمنة الاجنبية على مصر والمواطنين المصريين، وهذا لا يحصل دون التكاتف والتوحد والنضال المشترك والتطلع الى حب الوطن والوطنية الصحيحة والانتماء القومي للامة العربية، والحفاظ على البلدان العربية من خطر الهيمنة الخارجية. ويمكن تلخيص ما توصل اليه البحث بالنقاط الاتية :

١. تشكلت حكومة جديدة برئاسة محمود سامي البارودي، وشغل عرابي فيها منصب وزير الدفاع ونائب رئيس مجلس النظار.
٢. قوبلت وزارة "البارودي" بالارتياح والقبول من مختلف الدوائر العسكرية والمدنية؛ لأنها كانت تحقيقاً لرغبة الأمة، ومعقد الآمال، وكانت عند حسن الظن، فأعلنت الدستور، وصدر المرسوم الخديوي به في (٧ فبراير ١٨٨٢م).
٣. وضحت أهمية موقع مصر الاستراتيجي في طريق المستعمرات الإنجليزية في الشرق، وقد وضعت بريطانيا لنفسها منذ خروج الحملة الفرنسية سياسة ثابتة لم تتزحزح عنها، وكانت هذه السياسة ترتكز في:

أ. أن يكون في مصر حكومة ضعيفة تستظل بالحماية الانجليزية ولا تتخذ إلا القرارات التي تطمئن خلالها بريطانيا على حرية مواصلاتها نحو مستعمراتها.
ب. أو أن يكون لمصر حاكم ألعوبة في يد بريطانيا يأتمر بأوامرها ولا يخالف سياستها.
ج. أن تمنع بريطانيا أية قوة أوروبية من السيطرة على مصر أو يصبح لها نفوذ يعرقل مشروعات بريطانيا الاستعمارية، وكانت انظارها تتوجه نحو فرنسا منافستها الاستعمارية اللدود بشكل دائم.
د. أن تقف بريطانيا ضد أي حكومة قوية في مصر، وتصديها لمحمد على ووقوفها ضد طموحاته حيث ساهمت في تحطيم آماله في تكوين إمبراطورية مصرية على حساب الدولة العثمانية.
هـ. إن لم تستطع بريطانيا أن تحقق ذلك فإن عليها بلا أي مواربة أن تحتل مصر وتسيطر عليها بالقوة عن طريق الاستعمار المباشر.

المصادر

١. أحمد زكريا الشلق ،تطور مصر الحديثة ، القاهرة– مدينة نصر ، 2002 م.

٢. أحمد عبد الرحيم مصطفى ،الثورة العرابية، المكتبة الثقافية . القاهرة ، ١٩٩٩.

٣. احمد عبد الرحيم مصطفى، تطور الفكر السياسي في مصر الحديثة، دار الجيل، لبنان، ٢٠٠٣.

٤. اسامة خفاجة، واقع مصر تحت النفوذ الإنكليزي، مطبعة الجيزة،١٩٧٦.

٥. أنور عبد الملك ،نهضة مصر ، ترجمة حمادة إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، 2001 م.

٦. جمال حماد، أسرار الثورة العرابية، القاهرة، ٢٠٠١.

٧. صلاح أحمد هريدي ،دراسات في تاريخ مصر الحديث والمعاصر، القاهرة ، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2005 م.

٨. طلعت إسماعيل رمضان، تاريخ مصر الحديث والمعاصر المنصورة، 2000 .م

٩. عبد الحميد البطريق، التيارات السياسية المعاصرة،القاهرة،٢٠٠١

١٠. عبدالرحمن الرافعي، مقدمات الثورة العرابية، ط٣، مصر، دار المعارف ١٩٨٧.

١١. عبدالرحمن حبيب، رجال لم ينصفهم التاريخ ، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٩.

١٢. علي جودت، تاريخ مصر الحديث والمعاصر ،الأسكندرية،١٩٩٨.

١٣. علي فرج، ملخص الثورات العربية، مطبعة النور ، القاهرة،١٩٧٩

١٤. محمد صبري ،تاريخ مصر الحديث، طبعة مصر سنه ١٩٧٦.

١٥. محمود توفيق ، شهود العصر في التاريخ الحديث ، دار الفكر، القاهرة،١٩٨٦.

١٦. محمود متولى ، ثورات الشعب المصري في التاريخ الحديث والمعاصر، دار المعارف ،١٩٨٩.

١٧. محمود متولي ،رواد الحركة الوطنية المصرية في التاريخ الحديث ، دار النور ، القاهرة،١٩٧٩.

١٨. مصطفى عبدالمجيد وآخرون، ثورة احمد عرابي الحقيقة الغائبة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧.

١٩. وفيق عبد العزيز فهمي ،قضية الجلاء وثورة، دار المعارف، القاهرة،١٩٨٩.

هوامش البحث :

(١)عبدالرحمن الرافعي،٧٧.

(٢) المصدر نفسه،ص٧٨.

(٣)أحمد عبد الرحيم مصطفى ،الثورة العرابية، المكتبة الثقافية . القاهرة ، ١٩٩٩،ص٤٣.

(٤) المصدر نفسه،ص٤٤.

(٥)أنور عبد الملك ،نهضة مصر ، ترجمة حمادة إبراهيم، الهيئة المصرية، القاهرة، 2001 م،ص٧٣.

(٦)المصدر نفسه،٧٤.

(٧)المصدر نفسه،٧٥.

(٨)عبدالرحمن الرافعي، المصدر السابق،٨٣.

(٩)أنور عبد الملك ، المصدر السابق،ص٨٢.

(١٠) انور عبد الملك، المصدر السابق، ص٨٣.

(١١) المصدر نفسه،ص٨٤.

(١٢)وفيق عبد العزيز فهمي ،قضية الجلاء وثورة عرابي، دار المعارف، القاهرة،١٩٨٩،ص٦٨.

(١٣)محمود توفيق ،المصدر السابق،ص٧٠.

(١٤)محمود متولي ،المصدر السابق،ص٩٠.

(١٥) محمود توفيق، المصدر السابق،ص٩٠.

(١٦)عبد الحميد البطريق، المصدر السابق،ص٧٧.

(١٧) عبدالحميد البطريق، المصدر السابق، ص٧٨.

(١٨) المصدر نفسه،ص٧٩.

(١٩)جمال حماد، أسرار الثورة العرابية، القاهرة، ٢٠٠١،ص٣٤.

(٢٠) المصدر نفسه،ص٣٥.

(٢١)أحمد عبد الرحيم مصطفى ،المصدر السابق،ص٦٦.

(٢٢) المصدر نفسه،ص٦٦.

(٢٣) احمد عبدالرحيم مصطفى، المصدر السابق، ص٦٧.

(٢٤)اسامة خفاجة، واقع مصر تحت النفوذ الإنكليزي، مطبعة الجيزة،١٩٧٦،ص٢١٠.

(٢٥) اسامة خفاجة، المصدر السابق،ص٢١٠.

(٢٦) المصدر نفسه،ص٢١١.

(٢٧)علي جودت، تاريخ مصر الحديث والمعاصر، مطبعة العين ، الأسكندرية،١٤٤،١٩٩٨.

(٢٨) علي جودت، المصدر السابق،ص١٤٥.

(٢٩)مصطفى عبدالمجيد وآخرون، ثورة احمد عرابي الحقيقة الغائبة، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧،ص٢٦٦.

(٣٠) المصدر نفسه،ص٢٦٧.

(٣١)أحمد زكريا الشلق ،تطور مصر الحديثة ، القاهرة– مدينة نصر ، 2002 م،ص٢٢.

(٣٢) المصدر نفسه،ص٢٣.

(٣٣)طلعت إسماعيل رمضان، تاريخ مصر الحديث والمعاصر المنصورة، 2000 م،ص١٢٢.

(٣٤) احمد زكريا الشلّق، المصدر السابق،ص٥٥.

(٣٥)احمد عبد الرحيم مصطفى، تطور الفكر السياسي في مصر الحديثة، دار الجيل، لبنان، ٢٠٠٣،ص٦٧.

(٣٦) المصدر نفسه،ص٦٨.

(٣٧)طلعت إسماعيل رمضان، المصدر السابق،ص١٢٥.

(٣٨)أحمد زكريا الشلق ،المصدر السابق،٣٠.

(٣٩) المصدر نفسه،ص٣١.

(٤٠)صلاح أحمد هريدي ،دراسات في تاريخ مصر الحديث ، دار عين للدراسات ،القاهرة، 2005 م،ص٨٨.

(٤١) المصدر نفسه،ص٨٩.

(٤٢)محمود متولى ، ثورات الشعب المصري في التاريخ الحديث والمعاصر، دار المعارف ،١٩٨٩،ص٩٩.

(٤٣) المصدر نفسه،ص١٠٠.

(٤٤)صلاح أحمد هريدي ،المصدر السابق،ص٩٤.

(٤٥)علي فرج، ملخص الثورات العربية، مطبعة النور ، القاهرة،١٩٧٩،ص٧٧.

(٤٦) المصدر نفسه،ص٧٨.

(٤٧)محمود متولي ،رواد الحركة الوطنية المصرية في التاريخ الحديث ، دار النور ، القاهرة،١٩٧٩،ص١١٢.

(٤٨) المصدر نفسه،ص١١٣.

(٤٩) المصدر نفسه،ص١١٤.

(٥٠)محمود توفيق ، شهود العصر في التاريخ الحديث ، دار الفكر، القاهرة،١٩٨٦،ص٤٥.

(٥١) محمود توفيق، المصدر السابق، ص٤٦.

(٥٢)محمود متولي ،المصدر السابق،ص٤٦.

(٥٣)محمد صبري ،تاريخ مصر الحديث، طبعة مصر سنه ١٩٧٦،ص٨٤.

(٥٤) المصدر نفسه،ص٨٤.

(٥٥)محمود توفيق ،المصدر السابق،ص٥٠.

(٥٦)محمود متولي ،المصدر السابق،ص٥٦.

(٥٧) المصدر نفسه،ص٥٧.

(٥٨)عبدالرحمن حبيب، رجال لم ينصفهم التاريخ ، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٩،ص٥٣.

(٥٩) عبدالرحمن حبيب، المصدر السابق،٥٤.

(٦٠) المصدر نفسه،ص٥٥.

(٦١)عبدالرحمن الرافعي، مقدمات الثورة العرابية، ط٣، مصر، دار المعارف ١٩٨٧،ص٢٩.

(٦٢) عبدالرحمن الرافعي، المصدر السابق،ص٣٠.

(٦٣)المصدر نفسه، ص٣١.

(٦٤)عبد الحميد البطريق، التيارات السياسية المعاصرة،القاهرة،٢٠٠١،ص٦٦.

Al-Araabia revolution is an integrated sample of the Arab revolution represented by Ahmed Orabi

Shaheen Suham Abdul Razaq
shaheensuham@yahoo.com

Summary

The most important and revolutionary figures in our Arab nation in the modern era are Ahmed Orabi's personality. Ahmed Orabi's revolution was against the oppressive ruler, against tyranny and against the foreign invasion of the Egyptian economy. The hero, his struggle and his struggle against tyranny and oppression forced such personalities to choose the change and sacrifice for the happiness of this people and to achieve their aspirations, which facilitated such a revolution is the privacy of the heroic Egyptian people who are impatient, ATV all against foreign and against foreign domination, the Egyptian people are the people are invincible nor the patient submission and humiliation.